الشّيطان في الدرس العقدي

وسؤال الإرادة الإنسانية

تأليف:

د. أحمد عامر بن محمد العربي باي

أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي

بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي- الجزائر

منشورات جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي :

فصلية
دولية
محكمة

ALSHEHAB
الشهاب
متخصصة في البحوث والدراسات الإسلامية

تصدر عن كلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي – الجزائر

ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485

مجلد:10. عدد:02 . محرم 1446 هـ / جويلية 2024 م

المدير الشرفي
عمر فرحاتي
مدير جامعة الوادي
recteur@univ-eloued.dz

مدير المجلة مسؤول النشر
إبراهيم رحماني
عميد كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي
rahmani-brahim@univ-eloued.dz

رئيس التحرير
ميلود ليفة
lifa-miloud@univ-eloued.dz

للمراسلة: رئيس تحرير مجلة الشهاب – كلية العلوم الإسلامية – جامعة الوادي، ص ب 789
مدينة الوادي 39000 ، ولاية الوادي – الجزائر.

- البريد الإلكتروني للمجلة : alshehab@univ-eloued.dz
- الموقع الإلكتروني للمجلة: https://www.univ-eloued.dz/shehab/
- صفحة المجلة على البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

مجلة الشهاب • المجلد: 10، العدد: 02 (2024م) • ص ص 405 - 422
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

الشّيطان في الدرس العقدي وسؤال الإرادة الإنسانية

Satan in the doctrinal lesson and the question of human will

أحمد عامر باي*
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
bey-ahmedameur@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/06/08	تاريخ القبول: 2024/07/13	تاريخ النشر: 2024/07/15

****

ملخص:

إنّ وجود الشّيطان ودوره الذي اختاره تجاه الإنسان يطرح جملة من الإشكالات. وأبرزها علاقة دوره بحرية الإرادة الإنسانية، ومدى تأثيره في تحديد مصير الإنسان في ظلّ حمله لواجب الخلافة في الأرض. حيث يسعى هذا المقال إلى تناول مدى تمتّع الإنسان بكامل إرادته الوجودية في ظلّ وجود مخلوق يناصبه العداء ويستفرغ جهده لغوايته والدفع به إلى المعصية في مختلف صورها، مع الاعتبار لوجود التكليف الشرعي للإنسان بالتزام الشريعة الإلهيّة وامتثالها في الظاهر والباطن؛ وقد تعرض الباحث في الإجابة عن الإشكالية؛ وجود الشّيطان وطبيعةَ دورِهِ ومصدرِه، كما تناول موقع وطبيعة التأثير الشّيطاني على الإرادة والإنسانية ومحدوديّتها وتوازنها، ومن ثم الوقوف على أهم الفوائد والحكم لذلك الدور من الناحيّة الوجودية والتعبدية والمعرفية والسلوكية.

الكلمات المفتاحية: الشّيطان؛ الإرادة الإنسانية؛ الحرية الإنسانية.

Abstract:

The existence of Satan and the role that he has chosen for humans raise several problems. The most prominent of these problems is the relationship between his role and the freedom of human will. The impact of this on the fate of humans, as he is the one who bears the duty of caliphate on earth, was studied. This paper seeks to address the extent to which a person enjoys his full existential will. This is in the presence of a being who is hostile to him and exhausts his efforts to tempt him and push him to sin in its various forms. All taking into account the legal obligation of humans to abide by the divine law and comply with it outwardly and inwardly.This work also aims to answer the problem by explaining the existence of Satan, the nature of his role, and his source. In addition, this paper addressed the impact of satanic work on human will, its limitations, and its balance. The most important benefits and significance according to Satan's role were also identified from an existential, devotional, cognitive and behavioral standpoint

Keywords: Satan, human will, human freedom.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة:

إنّ رسوخ وبيان الرؤية الكونيّة الإسلاميّة لدى المسلم المعاصر، والمعرفة بعناصر تكوينها الكليّ والجزئي، ومن ثمّ الاستحضار الدّائم للواجب الاستخلافي للإنسان في الحياة، ومقومّات نجاحه وتحقيق أقصى غايته، هو ما يجعل الإنسان محلّ جدارة واستحقاق للتفضّل الإلهي عليه؛ بالكرامة والقيمة الوجوديّة العالية في سُلَّمِ الوجود، وهو ما يدفع بالإنسان إلى تحقيق أبلغ مراتب التّشريف بالخلافة في الأرض.

وفي هذا السيّاق تبرز أهمية الإرادة الإنسانيّة وحيازتها للحريّة الكاملة، التي تمهّد لتحقيق الإنسان لوجوده ونجاح اختباره، وبقدر ما تكون تلك الإرادة حرّة في سعيها، بمقدار ما تعبّر عن كوامن استعداد الإنسان وكسبه، ومن ثمّ استحقاقه للمصير اللاّئق بطبيعته واختياراته الوجودية.

إنّ وجود الشّيطان ودوره الذي اختاره تجاه الإنسان يفتح لنا قوسا من التّساؤل المتعلق بمدى تمتع الإنسان بكامل إرادته الوجودية في ظلّ وجود مخلوقٍ يناصبهُ العداء ويسعى جهده لغوايته والدفع به إلى المعصيّة في مختلف صورها، في ظلّ تكليف شرعي للإنسان بالتزام الشريعة الإلهية وامتثالها في الظاهر والباطن.

من أجل هذا يسعى الباحث في هذا المقال إلى محاولة الإجابة عن الإشكالية الآتية:

ماهي أهم المفاهيم المتعلقة بالشّيطان في الدرس العقدي الإسلامي؟ وما مصير الإرادة الإنسانية في ظل التأثير الشّيطاني؟ وما وجه الحكمة والعدل الإلهي في السَّمَاحِ للشّيطان بالتسلط على الإنسان والتسبيب في هلاكه؟ وما هي أبرز مبررات وفوائد وجود الشّيطان ودوره تجاه الإرادة والفعل الإنساني؟

2ـ من هو الشّيطان؟

الشّيطان: في كلام العرب هو كلّ بعيد عن الحقِّ[1]، وكلّ متمرّد من الجنّ والانسّ والدّواب[2]، وهذا العموم في المعنى اللغوي ينجرّ إلى المعنى الاصطلاحي العامّ، أمّا مفهومه الاصطلاحي الخاصّ -الذي نعنيه في هذا المقال- فهو يطلق على إبليس، ذلك المخلوق الغيبيّ الخفيّ عن الانسان، وهو مخلوق جمع في طبيعته كلّ أنواع الشّرور بمختلف صورها، فاستحقّ بذلك اللّعنة والطّرد من الرّحمة الإلهيّة، وقد تمحضّ منذ اختباره بالسجود لادم ورفضه الامتثال لأمر ربّه؛ أن يتخذّ الإنسان عدًوا يغويه ويظلّه ويلحقه بحزبه من العصاة[3].

1 - محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (ط:3 ، دار صادر – بيروت ، 1414ه)، ج8، ص81.

2 - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ط:1؛ مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، 2000م)، ج1، ص111.

3 - عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (ط:10؛ دار القلم: دمشق-سوريا، والدار الشامية: بيروت-لبنان، 2015م)، ج2، ص282-284.

وبيان عداوة الشّيطان للإنسان والتّحذير منه في القرآن صريح ومتكرّر، قال تعالى:﴿ إِنَّ الشَّيطان لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[1]؛ وهذه العداوة في الحقيقة من النّاحية الوجوديّة تأخذ حكم اللّزوم، ذلك أنّه ما من أحد إلا وهو ولي من أولياء الرّحمن، أو وليٌّ من أولياء الشّيطان، وتنبيه الإنسان للحذر من كيد الشّيطان وغوايته ووسوسته هو تنبيه أن يلحق بحزبه، وينزلق منزلقات ودركات الظلمة التي وقع فيها.

ويذكر لنا القرآن العبرة الباقية للإنس والجنّ، الحاصلة من الاختبار الذي تعرض له الإنس والجن حيث أمر الله تعالى أبوي الجنّ والإنس بالطّاعة فأذنب كلاهما، لكنّ إبليس أصرّ على معصيته وعناده، فكان عبرة للكافرين الجاحدين من الإنس والجنّ، أمّا آدم عليه السلام فقد تاب ورجع إلى ربّه من الذّنب الذي أذنبه[2]، فَجُعِلَ أبُ الجن عبرة لمن أصرّ وأقام على ذنبه، وجُعِلَ أبُ الإنس عبرة لمن تاب ورجع إلى ربّه، ورُفِعَ في ميدان الاختبار رايتان، راية شياطين الجنّ الإنس من الكافرين، وراية العبوديّة من الإنس والجنّ من المؤمنين.

3ـ الشيطان والاختيار الوظيفي:

خلق الله تعالى الشّيطان مثل ما خلق كلّ صنوف الخلائق لينفعه، وليَتَحَقّقَ بالعبودية لله رب العالمين، من خلال العبادة والانقياد والخضوع، لكنّها عبوديّة اختياريّة طوعيّة في مستوى أرقى من العبودية القهرية، قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، والتوجيّه للعبادة من الإنس والجنّ كان عبر الأزمان بتكليف إلهي عن طريق الوحي[4]، قال تعالى:﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[5]، أي أنّ الإنس والجنّ جميعا يقرّون أنّ الرّسل قد بلّغوا وأنذروا وأدّوا ما عليهم من واجب التّبليغ، لكنّ بعضهم اتّبعوا إغراء الحياة بزخرفها وزينتها وشهواتها، فعصوا وكفروا[6].

1- سورة فاطر: الآية 06.

2- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (دط؛ دار المعرفة: بيروت- لبنان، 1978م)، ص237.

3- سورة الذاريات: الآية 56.

4- شاكر عبد الجبار، حقيقة الشّيطان بالمنظور القرآني (ط:4؛ دار مكتبة الهلال: دار البحار، 1991م)، ص20-23.

5- سورة الأنعام: الآية 130.

6- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ط:2؛ دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م)، ج3، ص341.

فالشّيطان باعتباره من صنف الجّن كان مختارا في فعله[1]، ولم يخرج عن قاعدة التّكليف العامّ المذكور في الآية، ولا نجد دليلا شرعيّا يقودنا إلى التّأكيد على أنّه خُلِقَ لعداوة الإنسان والسّعي لإضلاله، حتى نجعل وجوده منافيا للحكمة والعدالة الإلهيّة في حقّ الإنسان، أو نجعل من وجوده سببا وحيدا وقطعيّا في تأثيره على الإرادة الإنسانيّة؛ بل الدّليل الصّريح بالنّص القرآني هو أنّ إبليس هو من اختار هذا الطّريق، استكباراً وحقداً على الإنسان الذي فُضِّلَ عليه تكريما، حينما أُمِرَ مع الملائكة بالسّجود له، وهذا الشّر الحاصل من الشّيطان هو شرّ منه وباختياره، مثله مثل كلّ المكّلفين، الذين أمدّوا بالقدرة على الطّاعة والمعصية، وهو المعّبر عنه بالشرّ الأخلاقي الذي يتحمّل مسؤوليته الإنس والجنّ[2]، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[3]، وفي الآية البيان التام للاختيار المبرر من إبليس لموقفه، بل وإصراره عليه؛ والرغبة في دوام ذلك الرفض القائم على الاستعلاء التكويني، وقد استجاب الله تعالى لطلب إبليس وَمَكَّنَهُ من مراده، لحكمة إلهية تهدف إلى زيادة الابتلاء للعباد، وتَحَقُّقِ كل مخلوق باستعداداته، من خلال اختيار الطاعة أو المعصية[4].

فتوعدّ الشّيطان ابن آدم بالإغواء والصدّ عن سبيل الحقّ، ولَم يَلُم الشّيطان نفسه ويتب كما فعل أبو البشر آدم عليه السلام، بل أصرّ على معصيته، ورأى أن سَبَبَهَا هذا الكائن الجديد الذي فُضِّلَ عليه، وتعهّد بأن يستفرغ كلّ جهدٍ، وألاّ يدع منفذا يكون الولوج منه لإضلاله؛ إلا سلكه، حتى يوقعه ويلحقه به في مسار عصيانه، وأن يفسده وذريّته كما فسد هو بسبب تركه السجود لأبيهم[5]، قال تعالى:﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا، قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا، قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا، وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ

1- محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم -تفسير المنار (دط؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة-مصر، 1990 م)، ج8، ص303.

2- القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد (ط:2 ؛ الدار التونسية للنشر: تونس، 1974م)، ص180.

3- سورة الأعراف: الآية 11-18.

4- محمد بن علي الشّوكاني، فتح القدير (ط:1؛ دار ابن كثير- ودار الكلم الطيب : دمشق- بيروت، 1993م)، ج2، ص219.

5- المرجع نفسه، ج2، ص219.

بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشّيطان إِلَّا غُرُورًا﴾[1].

لقد أمدّ الله الشّيطان بمنصب الإضلال بطلب منه، وتوعّد من اتّبع وسوسته بعقابه[2]، فأصبح للشّيطان بعد هذا الحدث وظيفة أساسيّة في عالم الابتلاء، تقوم على إضلال الإنسان واثبات عجزه أمام الغواية والفتنة، وأن يمتحن مشيئته وهو يتردّد بين الخير والشّر، والمباح والحرام[3].

فوجود الشّيطان ليس شّرا مطلقا كما يبدو، وعداوته للإنسان ما هي إلا شرّ صادر عنه باختياره، فلا تعارض بين وجوده ودوره؛ وحضور الحكمة والعدل الإلهي، لكن قد يتبادر للذهن مباشرة سؤال آخر، وهو أنّ الله تعالى في مقدوره منع الشّيطان من هذا الاختيار، وكان في مقدوره ألاّ يجيب الشّيطان إلى مراده ومكره، ويمنع عداوته له منذ وجوده، فلماذا أجابه لطلبه ومكّنه من تحقيق تلبيسه على بني آدم؟

والإجابة على هذا السؤال أنّ إرادة الله وحكمته اقتضت أن يختبر الإنس والجنّ حتى يميز الخبيث من الطيب، وحتى يضع كلّ مخلوق من خلال سعيه في المقام اللاّئق به في مراتب الوجود، وأنّ دور الشّيطان ليس إلاّ جزء من هذا الدّور الكليّ، فإذا ما علمنا أنّ وجود دور الشّيطان في هذا الاختبار الحاصل للإنس والجن له فوائد أعظم بكثير من غيابه؛ كما أن الإنسان قد نُبِّهَ وبُيِّنَ لَهُ من البداية كيد هذا العدو وحدود قدرته، ودعي لتجنبه؛ وأُمدَّ في مقابل الدّور الشّيطاني بما يفوقه من الوسائل للوقاية منه؟ زالت كلّ شبهة في تعارض وجود الشّيطان ودوره؛ مع الحكمة والعدل الإلهي تجاه إرادة الإنسان وحريّته.

4ـ الشّيطان والاختبار الإنساني:

إنّ وجود الشّيطان وتأثيره ليس شرًّا[4]، ذلك أنّ كلّ موجود لا ينفكّ عن شموله بالحكمة الإلهيّة البالغة، فيكون في وجوده خيرا علمنا وجه الحكمة أم جهلناها، وهو خير من حيث ما يؤدّي إليه من خير أعظم من عَدَمِ وقوعِهِ، أو دفعا لشرّ أسوء منه[5]، فالشّرور ذات طبيعة نسبيّة عدميّة لا وجود حقيقيّ لها، وكلّ ما شاء الله تعالى إيجاده خير، وما لم يشأ وجوده بقي على العدم الأصلي، وهو الشّر المطلق[6].

1- سورة الإسراء: الآية 61-65.

2- سعيد حوّى، الأساس في التفسير (ط:6؛ دار السلام : القاهرة- مصر، 1424 ه)، ج6، ص3088-3089.

3- عباس محمود العقاد، إبليس (دط؛ دار نهضة مصر: القاهرة- مصر، 1985م)، ص5

4- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (دط ؛ مكتبة الخانجي: القاهرة- مصر، دت)، ج3، ص57.

5 عبد الرحيم بن محمد أبو الحسين الخياط، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد (دط؛ نشر: الدكتور ميبرج ، 1925م)، ص85.

6- ابن قيّم الجوزيّة، شفاء العليل، (مرجع سابق)، ص181.

وإذا تأملنا في أوّل الآثار المترتبة عن التّأثير الشّيطاني على الإنسان، نجد أنّ وجوده وتأثيره يأتي في باب عظيم من أبواب تحقيق الامتحان الإنساني بدور الخلافة، بل أنّ وجوده ودوره لون من الاختبار النّوعي المتميّز عمّا سواه من وسائل الاختبار المتعدّدة، فالإنسان مختبر بالجمادات في الطّبيعة في صورها المختلفة كحبّه امتلاك المال والمنقولات والعقارات وغيرها، ومبتلى بحبّ الحيوان غير العاقل في صوره المتعددة كالأنعام وغيرها، ومبتلى بحبّ ما زُيّنَ له من البنين والبنات والخلان من صور الابتلاء بالعاقل من نفس النوع.

لكنّ الابتلاء بوجود الشّيطان هو ابتلاء بمخلوق عاقل مخالف في النّوع كليًّا؛ حيث جمع التميّز في مستوى رقي الابتلاء الحاصل من العاقل، وجمع التميّز بالابتلاء من غير نوعه بما يتميز به عن الابتلاء من شياطين الإنس من نفس نوعه، فينتج لون من الابتلاء الخفيّ المتعلقّ بظاهر الإنسان وباطنه في مستويات متعدّدة وأشكال لا حصر لها.

فيجمع الكيد الشّيطاني بين: الصدور من عقل واسع العلم؛ ومعلوم أنّ كيد العاقل عظيم؛ وهو أيضا ابتلاء وكيد خفيّ يتعلّق بالسّلوك الظّاهر والباطن، وهو مستوى أكبر من كيد الظّاهر فقط الذي قد يقدر عليه الإنسي أيضا؛ كما أن كيد الشّيطان يتميّز بتعديل في الكّم والكّيف في مستوياته المختلفة، بحسب ما هو متاح من قبول الغواية لدى الإنسان، فيبتدئه بالعرض من أعظم المعاصي إلى أصغر الذّنوب، فإن عجز أغرقه في دائرة المباحث شغلا له عن الأعمال الصّالحة، فإن عجز رضي منه بالتّخذيل عن فعل أعظم القربات إلى الأقلّ منها، وهو في هذا يفتن ويشتّت ويربك الإنسان سعيا لصدّه عن بلوغ تحقيق أقصى غايات وجوده التعبّدي.

وبهذا يكون وجود الشّيطان وتأثيره على الإنسان دورا مميّزا ومهمّا في تحقيق أعلى مستويات الاختبار للإنسان، بما يشكّل لونا من التّحفيز والاستدرار لأفضل مكنونات الإنسان في بلوغه أعلى مقامات العبودية.

5ـ حرية الإرادة الإنسانية:

لقد أوتي الإنسان من خالقه سبحانه وتعالى كمال الإرادة البشريّة في الحدود التي يتحقق بها اختياره المسؤول، ولم يوضع للشّيطان من سلطة تأثير على تلك الإرادة إلا في الحدود الخارجية، فالإرادة الإنسانية من جهة القوامة الوجوديّة؛ خَلْقٌ تَامٌ لله تعالى، فالله هو خالقُ كلّ شيء، وأيّ نسبة للخلق لغير الله لون من الشرك الاعتقاديّ أو العمليّ. كما أنّ عوامل تشكّل الفعل والتأثير الأساسيّة كلّها داخلية عند الإنسان، ولا يوجد أيّ تأثير قاهر أو مشارك في فعله، فللإنسان حريّة عظيمةٌ فوق طور التّأثير من المخلوقات إلا

بمقدار ما يسمح لها اختيارا، ولو كان الإنسان مقهورا متّبعا لغريزته لنزل إلى مراتب وجوديّة أخرى خارج دائرة التكليف.

أما وجود الفعل البشري من جهة الكسب، من خلال التّوجه للفعل واختياره بين الممكنات المتاحة، فهي إرادة حرّةٌ خالصةٌ، وإن طرأ عليها استثناء النُّقْصُ، فإنّ التّكليف والمسؤوليّة المرتبطة بالجزاء ترتفع بمقدار غيابِ تلك الحريّة في الاختيار.

وقد تناولت المذاهب الكلامية مسألة أفعال العباد بالبحث والدّراسة المستفيضة في كتب علم العقيدة، وقد خلصت إلى اتّجاهات متعدّدة بين من يثبت خلق الإنسان لأفعاله، لأنّ الله منزّه عن فعل القبيح[1]، وبين من ينفي خلق الإنسان لأفعاله وأنّ الأمر كلّه من خَلْقِ الله تعالى[2]، مع حصول الكسب لتلك الأفعال بالتّوجه النّفسي، وبين من يؤكّد الثّوابت القرآنية من نسبة الخلق لله ونسبة الحريّة للإنسان دون تفصيل.

لكنّ الأهمّ هو التّنبيه على الخلفيّة المشتركة التي انطلقت منها تلك المذاهب، من جهة المصدر والقصد أيضا، وهي تنزيه الله تعالى عن الظّلم، وثبوت حريّة الإرادة الإنسانيّة في اختياره على أيّ وجه، والتّأسيس لعدم وجود تأثير يتميّز بالإطلاق والقهر من الشّيطان أو من غيره من المخلوقات على الإنسان وحرّيته.

6ـ السلطة المحدودة والمسؤولية الإنسانية:

السلطة التي سُمِحَ للشّيطان بالعمل في حدودها ضيّقة جدّا، وقد عبّر عنها القرآن بالكيد الضّعيف، وللمسلم القدرة على الحدّ منها بما مكّنه الله تعالى من وسائل يسيرة لذلك، قال تعالى:﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[3]، فبيد الإنسان وحده أن يوسّع أو يضيّق من حدودها؛ المحدودة أصلا بالتّلبيس والوسوسة فقط، فهي سلطة ضعيفة، قال تعالى:﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[4]، أي؛ ليس له سلطان على الذين

1- عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي- القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد (ط:2 ؛ الدار التونسية للنشر: تونس، 1974م)، ص179.

2- عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الإيجي، المواقف، كتاب المواقف، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة (ط:1 ؛ دار الجيل: بيروت-لبنان، 1997م). ج1، ص11.

3- سورة الإسراء: الآية 65.

4- سورة النحل: الآية 99-100.

الذين يفوّضون أمرهم لله تعالى في كلّ قول وفعل، وهم العباد المُخْلَصُونَ الذين لا يجد الشّيطان بوسوسته لهم سبيلا، ويقتصر سلطانه بالإغواء على من اتخذه وليّا يطيع وسوسته[1].[2]

ويعترف الشّيطان يوم القيامة أمام أتباعه بضعف سلطته عليهم، وبكذبه في وعوده، وأنه لا سلطان له في الدار الآخرة لإغاثة نفسه أو إغاثتهم، قال تعالى:﴿وَقَالَ الشّيطان لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[3]، أي ما كان لي عليكم من حجّة وبيان فيما زيّنته لكم، فلم أقهركم على ما دعوتكم له، وما من سلطان لي على قلوبكم، وموضع إيمانكم، بل وسوست لكم فاستجبتم باختياركم، فلا تلوموا إلا أنفسكم[4].

فوسوسة الشّيطان لا تخلق الخطيئة ولا تعفي منها، وحدود عمله وتأثيره واضح، وعداوته للإنسان معلنة لا ريب فيها، مع التّنبيه الإلهي المتكرّر للحذر والحيطة من تأثيره، قال تعالى:﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشّيطان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[5]، أي لا تطيعوه في أعماله وخطاياه وفي كلّ ما خالف السّنن والشّرائع من البدع والمعاصي[6]، ومن جانب آخر نجد أنّ حدود مسؤولية الإنسان عن عمله كاملة وبيّنة، لذا نجد آدم وحواء في القرآن الكريم يجسّدان هذه الحقيقة، بتحمّل المسؤولية الكاملة والتّوبة عن الخطأ الحاصل منهما، قال تعالى:﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[7]، فلا عذر للإنسان في عمله بوسوسة الشّيطان لا عند ربه، ولا اعترافا ممن أضله وأغواه[8].

7ـ الشّيطان والعدل الإلهي:

لم تُتْرَكْ الإرادة الإنسانيّة الحرّة تحت تأثير الشّيطان وحده، رغم ما بيّناه من محدوديّة ذلك التّأثير وفوائده، بل اقتضت العدالة الإلهيّة تجاه الإنسان أن يكون هناك تقابل في الأدوار بين تأثير شيطانيّ وآخر ملائكيّ، فوجود إبليس في الإغواء ووسوسته للإنسان، يقابله وجود ملك يدعوه للخير والهداية، قال رسول

1- الشوكاني، فتح القدير، (مرجع سابق)، ج3، ص231.

2- سعيد حوّى، الأساس في التفسير ، (مرجع سابق)، ج6، ص3088-3089.

3- سورة إبراهيم: الآية 22.

4- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (ط:2 ؛ دار الكتب المصرية: القاهرة-مصر، 1964م)، ج9، ص356-357.

5- سورة البقرة : الآية 168.

6- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(مرجع سابق)، ج2، ص208.

7- سورة الأعراف: الآية 23.

8- عباس محمود العقاد، إبليس، (مرجع سابق)، ص119-120.

الله ﷺ : «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجنّ، وقرينه من الملائكة»[1]، وغياب أي منهما يؤدي إما لتفرّد الشّيطان بالإنسان مما يرجح كفّة ضلاله على هدايته، وإمّا أن يتفرد الملك بالإنسان فلا يخطئ الإنسان إلاّ نادرا مما يخل بحقيقة الاختبار الإلهي[2].

وبيّن النبيّ ﷺ دور كلّ منهما، وما يجب أن يقوم به المسلم عندما يلمس الأثر الحاصل من عملهما، بقوله: «إنّ للشيطان لمّة بابن آدم وللملك لمّة ، فأمّا لمّة الشّيطان فإيعاد بالشرّ وتكذيب بالحقّ، وأمّا لمّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحقّ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنّه من الله وليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوّذ من الشّيطان، ثم قرأ:﴿الشّيطان يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]»[4].

والله تعالى أمدّ عباده بسلاح فعّال في مواجهة عدوّهم؛ هو الدّعاء والالتجاء إليه بأن يحميهم من وسوسته ومكره، قال تعالى:﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشّيطان نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشّيطان تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[5]، أي؛ إمّا يصيبك من الشّيطان أدنى وسوسة أو إغواء، فاستعذ بالله والتجئ إليه[6]، وفي الآية إشارة إلى أنّ من علامات التّقوى عند المؤمنين، أنّه إذا مسّهم أدنى خيال من الوساوس الشّيطانيّة تذكّروا، فهو نداء إلى ردّ كيد الشّيطان بأن يصبح نزغه ووسوسته، دعوة غير مباشرة لذكر الله، فيندحر كيده، وتنقلب دعوته للمعصيّة، عملا صالحا وطاعة.

وفي الاتّجاه المقابل بيّن عزّ وجلّ أن من اتّبع الشّيطان في وسوته، ولم يلتفت للمّة الملك وتوجيهه للخير، وكان عن الذّكر معرضا، فإنه يترك لإرادته، بل قد يعاقب بتسليطه عليه، قال ﷻ:﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[7]، أي؛ ومن يعرض عن ذكر ربّه، يعاقبه الله بشيطان يقيضه له حتى يضلّه ويلازمه، لإيثاره الباطل عن الحقّ، فيحول بينه وبين سبيل الحقّ، فلا يهتدي لما يوسوس له به، ولا يجني في الآخرة إلاّ الحسرة والنّدم، الذي لن ينفعه[8].

1- رواه مسلم في صحيحه.

2- شاكر عبد الجبار، حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني (ط:4؛ دار مكتبة الهلال: دار البحار ،1991م)، ص35.

3- سورة البقرة: الآية 268.

4- رواه الترمذي والنسائي.

5- سورة الأعراف: الآية 200-201.

6- الشوكاني، فتح القدير، (مرجع سابق)، ج2، ص318.

7- سورة الزخرف: الآية 36-39.

8- الشّوكاني، فتح القدير، (مرجع سابق)، ج4، ص636-637؛ وانظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (دط؛ الدار التونسية للنشر : تونس ، 1984م)، ج25، ص210-212.

8ـ الفوائد والحكم من وجود إبليس:

إنّ الوقوف على الحِكَمِ والفوائد المتعدّدة لوجود إبليس والقيام بدوره تجاه الإنسان، يضعنا في الصّورة الحقيقيّة من كون وجود إبليس ودوره هو خير للإنسان، كما يؤكّد أنّ وجوده هو عامل قوّة تجاه الإرادة الإنسانيّة إذا تمّ التّعامل معه وفق الشّريعة الإلهيّة.

وفيما يلي عرض لأبرز تلك الفوائد والحكم:

أ. كمال التجلّي الإلهيّ:

لوجود الشّيطان دور في تمام التجلّي الأكمل للأسماء والصّفات الإلهيّة، ذلك أنّ الوجود كلّه بما يحوزه من تنوّع عجيب واختلاف واسع يدلّ في كليّاته وجزئياته على الله تعالى، إذ ليست المخلوقات إلاّ مظاهر تجلٍّ للحقّ سبحانه[1]؛ وفي خلق جبريل والملائكة النّورانية وإبليس والشّياطين الظلمانية؛ يبرز كمال قدرته ومشيئته وعموم سلطانه سبحانه تعالى، فبخلق الأضداد كالسّماء والأرض، والضّياء والظّلام، والجّنة والنّار، والطّيب والخبيث، يتجلّى الكمال الإلهي المطلق في ذلك التنوّع البديع؛ المعجز في أعظم آيات قدرته[2].

فالصّفات والأسماء الإلهيّة هي الماسكة للوجود، وهي تستدعي ذاتياً متعلّقات تظهر فيها إحكامها، فاسم الرّزاق لابدّ له من مرزوق، واسم الرّحيم لابد له من مرحوم، واسم الهادي لابدّ له من مهتدي، واسم المضلّ لابدّ له من ضال، واسم الملك لابدّ له من مملوك، وتمام الملك لا يكون إلا بشمول تصرّفه وتنوّعه بالثّواب والعقاب، والرّفعة والخفض، فلابدّ من وجود من يتعلق به كلّ فعل واسم[3].

وفي ظلّ هذا الحكم الوجودي تكتسي الإرادة الإنسانيّة الأهميّة البالغة في تحقيق الاختيار والدّور الاستخلافيّ في ميراث الحظّ الميسور من آثار التجلّي للأسماء والصّفات الإلهيّة.

ويساهم الدّور الشّيطاني في تحقيق الكثير من الفوائد والحكم في هذا الجانب، فبحصول الغواية وما ينتج عنها من عصيان وشرك وكفر، تتجلّى كثير من الصّفات الإلهيّة في أكمل صورة لها تجاه مخلوقاته، فمع ما يبارزونه به من المعاصي، يكون منه الحلم والصّبر والرّحمة والرّزق، ففي الأثر : (ابن آدم! ما أنصفتني؛ خيري إليك نازل، وشرّك إليّ صاعد؛ كم أتحبّب إليك بالنّعم وأنا غنيّ عنك، وكم تتبغّض إليّ بالمعاصي وأنت فقير إليّ، ما أنصفتني، إنيّ والإنس والجّن في نبأ عظيم؛ أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويشكر

1- محي الدين محمد بن علي؛ ابن عربي ، الفتوحات المكيّة، الفتوحات المكية (دط؛ دار صادر: بيروت- لبنان ، دت)، ج4، ص260.

2- ابن قيّم الجوزيّة، شفاء العليل، (مرجع سابق)، ص237.

3- محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي (ط:1؛ الجفان الجفان والجابي – قبرص ، 1987م)، ص68؛ وينظر: ابن القيم، شفاء العليل، (مرجع سابق)، ص238.

سواي، خيريّ إلى العباد نازل، وشرّهم إليّ صاعد، أتحبّب إليهم بنعمي، وأنا الغنيّ عنهم، ويتبغّضون إليّ بالمعاصي، وهم أفقر شيء إليّ، ولا يزال الملك الكريم: يعرج إليّ منك بعمل قبيح، ابن آدم! ما أنصفتني؛ خلقتك وتعبد غيري، ورزقتك وتشكر سواي)[1]، وهو سبحانه مع ذلك يمهل ويحلم ويصبر، ويدعو الإنسان إلى جناته ورضوانه، وباب التوبة والرجوع مفتوح، تمحى له به السيئات، وتضاعف له الحسنات، مع الحبّ والفرح لصنيعه[2].

وبذلك يكون وجود الشّيطان في حدِّ ذاته مظهرا لتمام القدرة الإلهيّة، وتكون آثار الدّور المنوط به تجاه الإنسان مظهرا لمتعلّقات الأسماء والصّفات الإلهيّة، بما يحقّق تمام الدّور الاستخلافيّ للإنسان في الوجود.

ب. البعد التعبدي:

إن من أبرز الفوائد في دور إبليس تجاه الإرادة الإنسانيّة هو المرافقة في سيرورة الإنسان نحو تحقيق تمام العبوديّة الميسورة، ففي وجوده وما يحصل منه من إغواء وتلبيس، وما يَتْبِعُهُ من مجاهدات؛ يَكْمُلُ للأنبياء والأولياء والمؤمنين مراتب العبوديّة[3]؛ التي لا تحصل ولا تتأتّى إلاّ بدوره، تجاه كلّ مسالك الفضائل والقربات، فالشّكر والصّبر ،والمحبّة والإنابة والرضا ، والخضوع والانقياد والاستسلام ونحوها، من الفضائل التي يحبّها الله في عبده، والتي لا تتحقّق إلاّ بالجهاد والرّباط على الحقِّ، وبيع النّفس لله تعالى، وتقديم طاعته ومحبّته على كلّ ما سواه، كلّ تلك الأخلاق، لا تتحقّق في أفضل صورها، إلاّ بوجود وساوس تصدّه عن الطاعة، وتزيّن له المعصيّة، فهناك بون واسع بين شكر آدم قبل خروجه من الجّنة وبعدها، وبين توبته وخضوعه قبل الذّنب وبعده، وبين حبّ الخير وبغض الظّلم، دون الإحساس الحقيقيّ في عيشهما معا[4].

ويبذل الشّيطان كلّ جهده في إثبات عجز الإنسان أمام الغواية والافتتان بمختلف المعاصي، وأن يمتحن إيمانه وعبوديّته وهو يتردّد بين الخير والمباح؛ وبين الشّر والحرام[5]، فالهدي حاصلٌ من الله تعالى، والدّور الضّلالي من الشّيطان، وبين المجالين يقوم الاختبار الإنساني بين أعلى عليّين؛ وأسفل سافلين.

1- رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء.

2- ابن قّيم الجوزيّة، شفاء العليل، (مرجع سابق)، ص238.

3- المرجع نفسه، ص236.

4- ابن قّيم الجوزيّة، شفاء العليل، (مرجع سابق)، ص237.

5 - عباس محمود العقاد، إبليس، (مرجع سابق)، ص5.

ووجود إبليس هو محكٌ لتمييز الخبيث من الطيّب، ولإبراز ما أودع في النّفوس من الاستعدادات بين المحسنين والمسيئين[1]،كما هو الحال في إرسال الرّسل وتبليغ التّكاليف الربانيّة، قال تعالى:﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[2]، فقد خلق الله تعالى النوع الإنساني مختلطا خبيثه بطيّبه، كما بين ذلك رسول الله ﷺ: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسّهل والحزن والخبيث والطّيب وبين ذلك)[3]، فيظهر في البشريّة ما كان في مادّة خلقهم، وقد اقتضت الحكمة الإلهيّة إخراجه وظهوره، فينضاف الطيّب إلى الطيب، والخبيث إلى الخبيث، ويصير الكلّ إلى دار قراره، الذي ينسجم مع طبيعته[4]، والأمر نفسه بالنسبة إلى جنس الجنّ؛ الذين خلقهم من المادّة النّارية التي تتميّز بالإحراق، والعلوّ، والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنّور، فيخرج منها سبحانه هذا وهذا، بحكمته الباهرة وقدرته القاهرة[5].

وبذا تبرز الفائدة العظيمة للدّور الإبليسيّ تجاه الإنسان، من جهة نقله بين الأطوار الإيمانيّة في مراتب العبوديّة، خطوة خطوة، من نفس أمّارة بالسّوء واقعة تحت سلطان الغواية، إلى نفس مجاهدة لوّامة، ثمّ إلى غاية كماليّة بوصولها إلى النّفس المطمئنّة التي لا سلطان لشياطين الإنس والجنّ عليها، وبذلك يبلغ الإنسان كماله بأن يكون هواه تبعاً لما جاء في الشّريعة، وتكون جوارحه وحواسّه بالله ولله تعالى.

ج. البعد المعرفي:

إن لوجود الشّيطان وتأثيره في حياة الانسان دورا عظيما في الجانب المعرفيّ، ذلك أنّ معرفة الشرّ والقبح هي المقدّمة المستجلبة لمعرفه الخير والحسن، ولولا الدوّر الشّيّطاني لما ميّز الانسان بين نور الطّاعة وفوائدها؛ وظلام المعصيّة وضررها، وهي معرفة ضروريّة سابقة لتحقّق المطلوب شرعا بالخيريّة، لا من خلال المعرفة العقليّة فقط، بل من خلال القدرة والاختيار للخير عن الشرّ؛ مع القدرة عليهما[6].

وهذا التّحقّق ما كان له أن يكمل ويحصل بأعلى صوره لولا العمق المعرفيّ بالخير والشّر. وإذا كان الشّر في مفهومه النسبيّ العامّ مرتبط بالسّوء والفساد والألم والكآبة والتّعاسة، المستنكرة والمذمومة من

1- محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم -تفسير المنار (دط؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة-مصر، 1990 م)، ج8، ص303.

2- سورة آل عمران: الآية 179.

3- أخرجه الترمذي.

4- ابن قيّم الجوزيّة، شفاء العليل، (مرجع سابق)، (مرجع سابق)، ص237.

5- المرجع نفسه، ص237.

6 - عباس محمود العقاد، إبليس، (مرجع سابق)، ص3-4.

الإنسان[1]، فإن الخير هو الطّرف المقابل للشّر، يقصد به الفعل الذي يحقّق النّفع أو المصلحة أو ما يجلبه من لذّة وسعادة، أو لاتّفاقه مع القواعد الإلهية[2].

وبالتّدقيق في النّظام الكليّ للوجود، يتأكّد لنا أنّه لا يمكن أن نستوعب معنى الخير لو لم يكن في الوجود الشّر، ومعنى الحسن لو لم يكن في الوجود القبح، إنّ قيمة الشّيء والمعرفة الدّقيقة والواسعة له، وطبيعة التعلّق به رغبة ورهبة، لا يمكن أن تَتَشَكّلَ إلا بمعرفة نقيضه، إذ لولا الظلام لما عرف قدر النّور، ولولا المرض لما تنّعم الأصحاء بالصّحة، ولولا النّار لما عرف أهل الجّنة قدر النّعمة[3].

وفي هذا الجانب يؤدّي وجود الشّيطان وغوايته للإنسان دورا معرفيّا واسعا، فما من سلوك يدعوا الشّيطان إليه إلاّ وفي خلافه الصّلاح، وما من سلوك ينهى عنه إلاّ وهو عين الخير والفلاح، إنّ الشّيطان في طبيعته الناريّة واختياره الوجوديّ السَّافِلِ بسلوك درب المعصية لله ربّ العالمين؛ يمثل الظّل النّاتج عن حجب المّادة الكثيفة للنّور السّاطع فيها، ويمثّل الظّلمة الكثيفة النّاجمة عن الابتعاد عن النّور الإلهي.

وبالوسوسة الحاصلة منه تنتج المعرفة بمواطن الشّر والقبح، معرفة ذهنيّة أو واقعيّة، وفي كليهما منطلق معتبر في سلوك الإنسان سبيل المعرفة للخير، والتحقّق بها إلى أقصى درجات الكمال الميسور.

د. البعد السلوكي:

إن في وجود الشّيطان فوائد متعلقة بالأبعاد السلوكيّة المتنوّعة في الظّاهر والباطن، ومن أبرز تلك الفوائد، الحذر والخشية من الوقوع في المعصيّة، والتّثبت والتّبين ووزن السّلوك البشريّ بميزان الشّريعة، ذلك أنّ شهود الملائكة وآدم عليه السلام لعصيان إبليس، وما حصل له من اللّعن والطّرد من رحمة الله تعالى، والنّزول من مرتبة الملائكة إلى مرتبة الإبليسيّة؛ الأثر البالغ، في بيان مسلكي الخضوع والانقياد والاستسلام لله رب العالمين، ومسلك الجحود والعجب والكبر والعصيان له سبحانه، وما نتج عنها من زيادة الخوف من الوقوع في المعاصي والإصرار عليها، كما حصل مع إبليس، فلا شكّ أنّ عبودية الملائكة وآدم عليه السلام وذريّته من بعده؛ أصبحت أعمق، وحذرهم وخشيتهم غدت أتمّ، بعد ما رأوا ما حلّ بإبليس من اللّعن والطّرد من رحمة الله تعالى[4].

ومن الفوائد أيضا ميلاد التّدافع السّلوكي عند الإنسان، فوجود الشّيطان وتأثيره الممكن تجاه الإنسان هو عامل تحفيز دائم قائم على سنّة التّدافع التي تؤسّس لقوّة وصلابة الإرادة الإنسانّية وحيويتها وتجدّدها، فمع كلّ عرضٍ للمعصية والوسوسة الدافعة لها؛ تتولّد ثمره امتناع وممانعة وثبات على الحقّ،

1- معن زيادة وآخرون، الموسوعة الفلسفية العربية (ط:1؛ معهد الإنماء العربي: بيروت-لبنان، 1986م)، ج1، ص510.

2- المرجع نفسه، ج1، ص417.

3- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين،(مرجع سابق)، ج4، ص258.

4- ابن قّيم الجوزيّة، شفاء العليل، (مرجع سابق)، ص236.

مما يجعل الإنسان في حالة يقظة دائمة، ورجوع وتوبة وارتقاء تعبّدي مستّمر، ولهذه الثمار السّلوكية في الظّاهر والباطن أشكال متعدّدة وتنوّعٍ لا حصر له، ويكفي في ذلك الإشارة الى المنهج العمري في التعامل مع وسوسة الشّيطان، حتى قال عنه رسول اللهﷺ: «والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، ما لَقِيَكَ الشّيطان قَطُّ سالِكًا فَجًّا إلَّا سَلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ»[1]، فما وسوس الشّيطان لعمر بن الخطابﷺ بفعل شيء من الشّرور إلا تركه، وما وسوس له بترك شيء من الخير إلا فعله بشكل مضاعف، وبهذا المنهج العمري تحوّلت وَسْوَسَته إلى لون من الألوان الدّافعة إلى مزيد من الخير والتّحفيز عليه، فترك الشّيطان الوسوسة لعمر ﷺ لمناقضة المقصد منها.

ومن الفوائد أيضا الرقي بجودة الدّور الاستخلافيّ للإنسان، فالوسوسة الحاصلة من الشّيطان تتميّز بالتّنوع والدّقة والتّغير والخفاء، والعرض المتدرّج من الأعلى إلى الأسفل، أي من العلوّ والسموّ والرقيّ التّعبدي ساعيةً بالإنسان إلى السُّفْلِ والدّنو نحو دركات المعصية؛ وفي هذا المسلك الشّيطاني دعوة الى جودة السّلوك التّعبدي ونقائه وتنوّره، ذلك أنّ الشّيطان بتلك الوسوسة يرشد الإنسان إلى دقائق المعاصي، ومع وجود المجاهدة من المؤمن ينفتح له باب الوقوف على دقائق الطّاعات، فمع كلّ عرض لدقيقة من دقائق المعصية إدراك لها، ومع كلّ توقّف وتثبّت على الانخراط فيها؛ طاعة. ومع كلّ عمل بما يناقضها وينافيها زياده خير وإحسان، فتكون تلك الغواية والوسوسة إذا تمّ مقابلتها بالمجاهدة؛ بابا من أبواب حصد المعرفة والثبات والمسابقة للخيرات في مستويات متعددة، مفضية إلى العمق والإحسان في السّلوك التّعبدي.

فيكون وجود الشّيطان ودوره عاملا محفّزا ومولدا للّطاقة، ومحفزاً على استثمارها، بأفضل سبيل وأحسن طريق، في مسار الإنسان نحو تحقيق أقصى درجات التخلّق والعبوديّة لله رب العالمين.

9ـ **خاتمة**:

ويخلص البحث إلى جملة النتائج ؛ نوجزها في النقاط الآتية:

1. إنّ في وجود الشّيطان من جهة الوجود والاختبار الإلهي له ابتداء؛ لا يخرج عن دائرة الحكمة والعدل الإلهيّ تجاهه، فقد خلقه ليكرمه بالوجود والعبادة مثله مثل كلّ المكلفين، وأن دوره الإغوائي اختيارٌ وظيفيٌ قادهُ إليه كبرهُ ومعصيته لله رب العالمين.
2. أن وجود الشّيطان وتأثيره على الإرادة الإنسانية يعتبر أحد أهمّ وسائل الابتلاء التي تتميّز بالنوعيّة عن غيرها، وهو مستوى يتميّز بالعمق والدّقة، من جهة كونه وسيلة اختبار عاقلة تستغل الفكر والتدبير إلى أقصاه، كما تتميز بالخفاء والتعلق بظاهر الإنسان وباطنه، وبذا تكون نتائج الاختبار بهذه الوسيلة أكثر فائدة في دائرة الكسب التعبديّ للإنسان.

1 - رواه البخاري في صحيحه.

3. إنّ الأصالة في حريّة الإرادة الإنسانيّة ثابتة عند جميع المتكلمين، بغض النظر عن تفسيراتهم المتعددة للكيفيّات، بما يفضي إلى تحميل الإنسان المسؤوليّة التامة عن أفعاله الحسنة والسيّئة، ولا يعفيه التّعذر بأي تأثير خارجي، كوسوسة الشّيطان أو غيره.

4. إن القدرة والتأثير الذي سُمِحَ به للشّيطان في دائرة محدودة جداً، وهو كيدٌ ضعيفٌ لكلّ من أخذ بأسباب الهداية وطريقها، وأن هذا التأثير يقابله من باب التّوازن والعدل الإلهيّ تأثير ملائكيٌ على الإنسان، حيث تقابل وسوسة الشّيطان لمّة الملك، وللإنسان الحريّة في كسب أعماله وفق إرادته الحرّة.

5. إنّ لوجود الشّيطان ودوره تجاه الإنسان فوائد وحكما عديدة، منها كمال التجلي للأسماء والصّفات الإلهية، والمساهمة في تبليغ الإنسان أعلى درجات كمال العبودية الميسور، من خلال تعميق البعد المعرفي عنده بالخير والشر، وتحفيزه على تحسين الجانب السلوكي في الظاهر والباطن وجودته.

10. قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. كتب الحديث النبوي الشريف.
3. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، ط:2- 1999م، تفسير القرآن العظيم، السعودية، دار طيبة.
4. حوى، سعيد، ط:6- 1424 هـ ، الأساس في التفسير ،القاهرة- مصر، دار السلام.
5. شاكر، عبد الجبار، ط:4- 1991م، حقيقة الشّيطان بالمنظور القرآني، مصر، دار مكتبة الهلال- دار البحار.
6. العقاد، عباس محمود، 1985م، إبليس، القاهرة- مصر، دار النهضة.
7. القاضي عبد الجبار، عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي تحقيق: فؤاد سيد ، ط:2- 1974م، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تونس، الدار التونسية للنشر.
8. الإيجي عضد الدين ، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار ، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط:1- 1997م، كتاب المواقف، بيروت-لبنان، دار الجيل.
9. حبنكة الميداني، عبد الرحمن، ط:10- 2015م، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق-سوريا، دار القلم: -سوريا، وبيروت-لبنان ،الدار الشامية.
10. الخياط، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد، 1925م، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، نشر: الدكتور ميبرج.

11. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، د ت ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة-مصر، مكتبة الخانجي.
12. ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، 1984م، التحرير والتنوير ، تونس، الدار التونسية للنشر .
13. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ، 1978م، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت- لبنان، دار المعرفة.
14. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:2- 1964م، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة-مصر ، دار الكتب المصرية.
15. بن جرير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ط:1- 2000م، جامع البيان في تأويل آي القرآن، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة.
16. الشّوكاني، محمد بن علي ، ط:1- 1993م، فتح القدير، دمشق- بيروت، دار ابن كثير؛ ودار الكلم الطيب.
17. الغزالي أبو حامد الطوسي، محمد بن محمد ، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط:1-1987م، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، قبرص، الجفان والجابي.
18. ابن منظور، محمد بن مكرم، ط:3- 1414هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
19. محمد رشيد رضا، بن علي رضا القلموني الحسيني، 1990م، تفسير القرآن الحكيم -تفسير المنار، القاهرة-مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
20. ابن العربي، محي الدين محمد بن علي، د ت، الفتوحات المكيّة، بيروت- لبنان، دار صادر.
21. معن زيادة وآخرون، ط:1-1986م، الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت-لبنان، معهد الإنماء العربي.

Bibliography List

1. The Holy Quran.
2. Books of the Noble Prophet's Hadith.
3. Ibn Kathir, Ismail bin Omar, edited by: Sami bin Muhammad Salama, 2nd edition, 1999 AD, Interpretation of the Great Qur'an, Saudi Arabia, Dar Taibah.
4. Hawwa Saeed, 6th edition, 1424 AH, The basis of interpretation, Cairo - Egypt, Dar Al-Salam.

5. Shaker Abdul Jabbar, 4th edition, 1991 AD, The Truth about Satan from a Quranic Perspective, Egypt, Al Hilal Library, Dar Al Bahar.
6. Abbas Mahmoud Al-Aqqad, 1985 AD, Satan, Cairo - Egypt, Dar Al-Nahda.
7. Alkadi Abd al-Jabbar, Abd al-Jabbar bin Ahmad al-Assadabadi, edited by: Fouad Sayyid, 2nd edition, 1974 AD, The Virtue of Mu'tazila and the Mu'tazila Classes, Tunisia, Tunisian Publishing.
8. Al-Iji Adud Al-Din, Abdul Rahman bin Ahmed bin Abdul Ghaffar, edited by: Abd al-Rahman Amira, 1st edition, 1997 AD, Book of Al-Mawaqif, Beirut-Lebanon, Dar al-Jeel.
9. Habankah Al-Maidani Abdul Rahman, 10th edition - 2015 AD, Islamic ethics and its foundations, Damascus - Syria, Dar Al-Qalam: Syria, and Beirut - Lebanon, Dar Al-Shamiya.
10. Al-Khayyat Abu Al-Hussein Abd Al-Rahim bin Muhammad, 1925 AD, Victory and response to the atheist Ibn al-Rwandi, published by: Dr. Mayberg.
11. Ibn Hazm Al-Andalusi, Ali bin Ahmed bin Saeed, The decisive decision in matters of sects, whims, and religious sects, Cairo - Egypt, Al-Khanji Library.
12. Ibn Ashour Muhammad Al-Tahir Al-Tunisi, 1984 AD, Liberation and enlightenment, Tunisia, Tunisian Publishing.
13. Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, 1978 AD, Healing the sick in matters of predestination, destiny, wisdom, and reasoning, Beirut - Lebanon, Dar Al-Ma'rifa.
14. Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed, edited by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Tfaysh, 2nd edition, 1964 AD, The comprehensive of the provisions of the Qur'an, Cairo - Egypt, Dar Al-Kutub Al-Misria.
15. Bin Jarir al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir bin Yazid, edited by: Ahmed Muhammad Shaker, 1st edition, 2000 AD, Comprehensive Interpretation of Verses of the Qur'an, Beirut - Lebanon, Al-Resala Foundation.
16. Al-Shawkani Muhammad bin Ali, 1st edition, 1993 AD, The Almighty opened, Damascus - Beirut, Dar Ibn Kathir and Dar the good words.
17. Al-Ghazali Abu Hamid al-Tusi Muhammad ibn Muhammad, edited by: Bassam Abd al-Wahhab al-Jabi, 1st edition, 1987 AD, The best purpose

in explaining the meanings of the Most Beautiful Names of God, Cyprus, al-Jifan and al-Jabi.
18. Ibn Manzur Muhammad bin Makram, 3rd edition, 1414 AH, Tongue of the Arabs, Beirut, Dar Sader.
19. Muhammad Rashid Reda bin Ali Reda Al-Qalamouni Al-Husseini, 1990 AD, Interpretation of the Wise Qur'an - Interpretation of Al-Manar, Cairo-Egypt, Egyptian General Book Authority.
20. Ibn al-Arabi Muhyi al-Din Muhammad ibn Ali, The Meccan Conquests, Beirut - Lebanon, Dar Sader.
21. Maan Ziadeh et al., 1st edition, 1986 AD, Arab Philosophical Encyclopedia, Beirut-Lebanon, Arab Development Institute.